المبحث الرابع

من الخصائص الأخلاقية والخِلقية للنبي ﷺ.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: من الخصائص الأخلاقية للنبي ﷺ.

المطلب الثاني: من الخصائص الخِلقية للنبي ﷺ.

المطلب الأول

من الخصائص الأخلاقية للنبي ﷺ.

كل من تعرف على شيء من الأخلاق المحمدية لا يسعه إلا أن يقول: أن الأخلاق الحميدة، والفضائل المجيدة، وخصال الكمال البشرى كلها مأخوذة من رسول الله ﷺ[1]؛ لقد بلغ رسول الله ذروة الكمال الإنساني في أخلاقه وخصاله وفي جميع جوانب حياته، وهو وجهٌ من وجوه الإعجاز الأخلاقي. وإذا كان حاتم الطائي مضرب المثل في الكرم حتى إنه ذبح فرسه وقدمه طعامًا لضيفانه، وعنترة كان مثالاً في الشجاعة والفروسية، لم يبل في الحروب أحدٌ بلاءه، وقيس بن سعد بن عبادة بلغ الذروة في الدهاء، ولولا الورع ما غلبه خصومه في خصومة قط، فإن تفوق النبي ﷺ شمل كل هذه الجوانب، وبلغ ذروتها، وتربع على عرشها دون منازع[2].

ولهذا يذكر المحققون من العلماء أن الأنبياء وإن شاركوا النبي ﷺ فى بعض الخصائص والفضائل النبوية وكذا اتصف بها نفر من أمته من بعده: لكنه ﷺ خص بأعلاها وأكملها، فهو الأكمل خُلقا، والأخلاق من قبله دالة عليه، ومن بعده مستمدة منه، ومن ذلك خصوصيته ﷺ بعظيم الصفات ومكارم الأخلاق، وهذا يعني انتشار أنوار الشمائل المحمدية في الأخيار من كافة البرية، ومن الأمة المحمدية بما يعني أن أنواره ﷺ ملأت الكون من قبل ولادته ومن بعدها، وذلك لأن الله تعالى ربى حبيبه وأدبه على الكمال كله بالأخلاق الحميدة، والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها، وتعظيم المتصف بالخُلق الواحد منها، فضلاً عما فوقَه، وأثنى الشرع على جميعها، وأمر بها، ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها، ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة، وهي المسماة بحسن الخلق، وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها، والتوسط فيها، فكلها كانت خلق نبينا محمد ﷺ على الانتهاء في كمالها، والاعتدال إلى غايتها، حتى أثنى الله

---

[1] «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٨٢)، و«عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤)، و«بداية السول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام (ص: ٤٢).

[2] {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} جمع وترتيب أبى عبد الرحمن سلطان على (ص: ٦٧).

بذلك عليه، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «**كَانَ خُلُقُه القُرْآنُ**»[2]، يرضى برضاه، ويسخط بسخطه، وقال ﷺ: «**بُعِثْتُ لِأتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**»[3]، ومن تأمل هذا المعنى يجد أنه ﷺ لم يبعث بالأخلاق، وكذلك لم يبعث بمكارم الأخلاق، وإنما ليتمم مكارم الأخلاق، أي: يعليها ويزكيها، وكيف يتمم مكارم الأخلاق وهو غير متصف بها؟ فلا بد أن يكون على أعلى درجة من أتمها وعاليها، بل يكون هو في رتبة أعلى من مكارم الأخلاق، وهو معنى الزيادة في الكمال البشري، والزيادة في الكمال النبوي.

وما أحسن ما قاله قاضي المدينة المنورة – القاضي عياض – في هذا المعنى: الأخلاق الحميدة، والفضائل المجيدة، وخصال الكمال العديدة، كلها مأخوذة من رسول الله ﷺ، والأمر أوسع من أن ينظر فيه بشر، فمجال هذا الباب في حقه ﷺ ممتد، وتنقطع دون نفاده الإدلاء، وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء[4].

ويلاحظ أنه ﷺ لم يَقُل: بعثت بالأخلاق، ولم يقل: بعثت لأتمم ألأخلاق، وإنما قال: لأتمم مكارم الأخلاق، ولاشك أن من يتمم مكارم الأخلاق يكون موصوفًا بما هو أعلى من مكارم الأخلاق، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: فوق الأخلاق العالية العظيمة؛ ولهذا روي عن الصحابة أجمعين أنه ﷺ: أحسن الناس وأبهى الناس وأكرم الناس

---

[1] سورة القلم الآية: (٤).

[2] أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، رقم: (٧٤٦) (ج١ ص٥١٢).

[3] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ومن كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة، رقم: (٤٢٢١) (ج٢ ص٦٧٠)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وتعليق الذهبي في التلخيص: «على شرط مسلم»، وفي «شرح الزرقاني» (ج٤ ص٣٢١) بلفظ: «حسن الأخلاق»، ورواه البزار وإسناده حسن، باب: في حسن خلقه وحيائه وحسن معاشرته، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأتَمِّم صَالِح الأخْلَاق»، وأخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه البزار إلا أنه قال: «لأتَمِّم مَكَارِمَ الأخْلَاق». «مجمع الزوائد» (ج٨ ص١٨٨).

[4] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٥٣)، و«عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤).

وأجود الناس، وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً وخلقا، فعن أنس ﷺ قال: «**كان النبي ﷺ أحْسَنَ النَّاسِ وَأشْجَعَ النَّاسِ وَأجْوَدَ النَّاسِ**»[1].

وعن البراء قال: كان رسول الله ﷺ أحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وأحْسَنَهُم خُلُقًا[2].

ووجه الخصوصية: ما ذكره المحققون أنه ﷺ كان مجبولاً على المكارم في أصل خلقته وأول فطرته، وأنها لم تحصل له باكتساب ولا رياضة؛ ولكن بجود إلهي وخصوصية ربانية، ووجه تمام الكمال والخصوصية فيه قوله ﷺ: «**أدَّبَنِي رَبِّي فَأحْسَنَ تَأدِيْبِي**»[3].

وهذا يعني أن الفضائل كلها اجتمعت، واكتملت في النبي ﷺ فبلغت الكمال البشرى؛ بل والكمال النبوي، وأدل دليل على ذلك أن الله سبحانه أقسم بأشياء عظيمة، ليعلم العقل البشري حقيقتها، ولا يحيط بعظمتها على عظمة أخلاقه ﷺ فقال: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[4]، وعن عائشة ﵂ أنها قالت: إنَّ خُلُقَ نبي الله ﷺ كان القرآن[5]، **ومعنى هذا**: أنه ﷺ قد ألزم نفسه ألا يفعل إلا ما أمره به القرآن، ولا يترك إلا ما نهاه عنه، فصار امتثال أمر ربه خلقاً له وسجية، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن، رقم: (٢٦٦٥) (ج٣ ص١,٣٨)، وأخرجه مسلم، في الفضائل، باب: في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب، رقم: (٢٣,٧) (ج٤ ص١٨,٢).

(2) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم: (٣٣٥٦) (ج٣ ص١٣,٣)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب: في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجها، رقم: (٢٣٣٧).

(3) ذكره المتقي الهندي في: «كنز العمال»، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، الفصل الثالث في: فضائل متفرقة تُنْبِئ عَنْ التَّحَدُّثِ بِالنِّعَم وفيه ذكر نسبه، رقم: (٣١٨٩٥) (ج١١ ص٥٣٤)، وقال: «إسناده ضعيف»، وكشف الخفاء، حرف الهمزة، الهمزة مع الدال المهملة، رقم: (١٦٤) (ج١ص٦٧)، وقال ابن تيمية: «لا يعرف له إسناد ثابت»، لكن قال في «الدرر»: صححه أبو الفضل ابن ناصر، وقال في «اللآلئ»: «معناه صحيح؛ لكن لم يأت من طريق صحيح»، وذكره ابن الجوزي في: «الأحاديث الواهية»، فقال: «لا يصح ففي إسناده ضعفاء لا مجاهيل».

(4) سورة القلم الآيات: (١، و٢، و٣، و٤).

(5) الحديث سبق تخريجه.

وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ [1]﴾ ، فكانت أخلاقه ﷺ أشرف الأخلاق، وأكرمها، وأبرها، وأعظمها، وأعلى من أعلاها، فأخلاقه هي الهداية عينها؛ لأنها القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا، ولا يخفي أنه ﷺ أول من عمل بالقرآن، وأول المؤمنين، وإمام الذين علموا الخلق عبادة رب العالمين جل وعلا، فكان ﷺ أشجع الناس، وأشجع ما يكون عند شدة الحروب وقد روي أنه قال: «**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِي**»[2].

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَّ اللهَ أَدَّبَنِي فأَحْسَنَ تَأْدِيْبِي، ثُمَّ أَمَرَنِي بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ فَقَالَ:** ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾[3].

قال أبو بكر ﷺ: ما رأيت أفصح منك فمن أدبك يا رسول الله قال: «**أَدَّبَنِي رَبِّي وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ**»[4] وهو وإن كان فيه ضعف لكن قال ابن حجر: معناه صحيح[5]؛ ولهذا لا يمكن

---

[1] سورة الإسراء آية: (٩).

[2] «كشف الخفاء» (ج١ ص٧٢)، وقال ابن تيمية: «لا يعرف له إسناد ثابت، لكن قال في «الدرر»: صححه أبو الفضل ابن ناصر، وقال في «اللآلئ»: معناه صحيح؛ لكن لم يأت من طريق صحيح»، وذكره ابن الجوزي في «الأحاديث الواهية» فقال: «لا يصح، ففي إسناده ضعفاء لا مجاهيل»، وأسنده سِبْطُه في «مرآة الزمان» بطرق كلها تدور على: السدي عن علي بن أبي طالب أنه قال: يا رسول الله كلنا من العرب، فما بالك أفصحنا، فقال: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ بِلُغَةِ إِسْمَاعِيْل وَغَيْرِهَا مِنَ اللغَاتِ، فَعَلَّمَنِي إِيَّاهَا**»، قال السبط: والسدي اسمه: عبد الرحمن إمام كل فن، وعنه نقل التفسير والقصص وغيرهما، قال: وقد ذكره جدي في «زاد المسير» وعامة كتبه». «كشف الخفاء» (ج١ ص٧).

[3] سورة الأعراف الآية: (١٩٩).

[4] «كشف الخفاء»، حرف الهمزة، الهمزة مع الدال المهملة، رقم: (١٦٤) (ج١ص٦٧)، وقال ابن تيمية: «لا يعرف له إسناد ثابت، لكن قال في «الدرر»: صححه أبو الفضل ابن ناصر، وقال في «اللآلئ»: معناه صحيح، لكن لم يأت من طريق صحيح».

[5] قال في «الأصل»: رواه العسكري عن علي ﷺ قال: قدم بنو نهد بن زيد على النبي ﷺ فقالوا: أتيناك من غوري تهامة، وذكر خطبتهم وما أجابهم به النبي ﷺ قال: فقلنا يا نبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بني سعد بن بكر»، وسنده ضعيف جدا، وإن اقتصر شيخنا – يعني: الحافظ ابن حجر – على الحكم عليه تقليبها في بعض فتاويه، ولكن معناه صحيح. «كشف الخفاء» (ج١ ص٧٢).

لأحد قط أن يضاهيه في محاسن ومعالي الأخلاق فكان ﷺ أكرم الناس وأفضل الناس[1]، وكان ﷺ أعلم الخلق بالله، وأفصح الخلق نطقًا، وأنصح الخلق للخلق، وأحلم الناس، وكان ﷺ أشد الناس تواضعًا في وقار، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين، في السيرة أنه ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح جعل يطأطئ رأسه من التواضع، حتى إن مقدم رحله ليصيب عثنونه، وهو من شعر اللحية[2].

وكان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، ومع ذلك فهو أشد الناس بأسًا في أمر الله، وهكذا مدح الله ﷻ أصحابه، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[3]، ومن طالع سير الأنبياء منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك، كما عرف من حال عيسى وموسى، ويحيى، وسليمان، وغيرهم عليهم السلام؛ بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة، وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة، قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[4]، قال المفسرون: أعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه.

---

[1] «صحيح مسلم» (ج٤ ص١٨,٣).

[2] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٦٤).

[3] سورة الفتح آية: (٢٩).

[4] سورة مريم الآية: (١٢).

وقال معمر[1]: عنه ﷺ قال: «**رَحِمَ الله أخِي يَحْيَى حِيْنَ دَعَاهُ الصِّبْيَانُ إلَى اللعِبِ وَهُوَ صَغِيْرٌ فَقَال: أللَّعِبِ خُلِقْتُ!**»[2].

ولهذا قال الماوردي: فضائل سيدنا محمد ﷺ ثابتة قبل النبوة، وكيف لا وهو المهيأ لأشرف الأخلاق وأجمل الأفعال، المؤهل لأعلى المنازل وأفضل الأعمال، لأنها أصول تقود إلى ما ناسبها ووافقها، وتنفرد مما باينها وخالفها، ولا منزلة في العالم أعلى من النبوة التي هي سفارة بين الله تعالى وعباده تبعث على مصالح الخلق وطاعة الخلق [3]، وأعلى منازل النبوة منزلة خاتم النبيين وإمامهم وخطيبهم وشفيعهم فبلا شك لم يكن في الخلق من قاربه في فضله، ولا داناه في كماله خلقاً وخلقاً وقولاً وفعلاً، بل ولم تشهد الدنيا نبيًّا مثله في كمال أدبه وخلقه، وجميع صفته وبذلك وصفه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[4]، وقال ﷺ: «**أدَّبَنِي رَبِّي فَأحْسَنَ تَأدِيْبِي**»[5]؛ ولهذا صح أن يقسم الله على عظمة تلك الأخلاق المحمدية في كتابه، فإنه سبحانه لا يقسم إلا على الأشياء العظيمة التي تستحق أن يقسم الله تعالى عليها، لاسيما أنه ﷻ أقسم بأشياء عظيمة جدا، لا يحيط العقل البشري بها وهي: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ [6] ليس على نفي التهم المنسوبة إليه فقط،كما في قوله: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾[1]

---

[1] هو: معمر بن راشد بن أبي عمرو، أبو عروة، الأزدي، الحداني بالولاء، فقيه حافظ للحديث، متقن، ثقة، من أهل البصرة، روى عن ثابت البناني وقتادة والزهري وعاصم الأحول وصالح بن كيسان وعبد الله بن طاوس وغيرهم، وعنه شيخه يحيى بن أبي كثير وعمرو بن دينار وأبو إسحاق السبيعي وابن المبارك وابن عيينة وعيسى بن يونس وغيرهم، وقال ابن معين والنسائي: ثقة، وقال عمرو بن علي: كان من أصدق الناس، توفي (سنة: ١٥٣هـ). «تهذيب التهذيب» (ج١٠ ص٢٤٣)، و«الأعلام» (ج٨ ص١٩٠).

[2] «كنز العمال» كتاب الفضائل من قسم الأفعال، باب: يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام، رقم: (٣٢٤٢٥)، (ج١١ ص٧٢٩).

[3] «أعلام النبوة» (ج١ ص٢٥٤).

[4] سورة القلم آية: (٥).

[5] سبق تخريجه.

[6] سورة القلم آية: (١).

وليس على أنه ﷺ بلغ الدرجات العالية من الأخلاق الفاضلة فقط، وإنما على أنه ﷺ على خلق عظيم، وفي تأكيد الكلام بأن والقسم والجملة الاسمية كل ذلك دلالات على أن الأمر كبير حقًا وعظيم.

وقد ذكر القاضي عياض رحمه الله فصلا في كمال خلق النبي ﷺ ومنه قوله: وعلى هذا فالكمال المعتبر في البشر يكون من أربعة أوجه:

أحدها: كمال الخَلْق.

والثاني: كمال الخُلُق.

والثالث: فضائل الأقوال.

والرابع: فضائل الأعمال.

وكل ذلك مكتمل فيه من غير خلاف، وأنه فوق أعلى درجات الأخلاق العلية والعظيمة، وفيما يلي جانب يسير من بعض هذه الصفات وشيء من المكارم والأخلاق التي اتصف بها سيد الخلق ﷺ على سبيل المثال لا الحصر، فالحصر لا مكان له في هذا الباب، **ومن ذلك ما يلي**:

١) من خصائصه ﷺ الأخلاقية: خلق الحياء، وحسنه وبهائه باتصاف سيد الخلق به.

أما معناه: فالحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته، أو ما يكون تركه خيرًا من فعله.

والإغضاء: التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته.

ومصدر الحياء هو النبي المصطفى ﷺ؛ ولهذا وصفه كل العلماء بقولهم: كان النبي ﷺ الأشد حياء، وأكثرهم عن العورات إغضاء، وكما قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ

---

(١) سورة القلم آية: (٢).

فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾[1] الآية. وبهذا الوصف الذي ذكـــره الله في القرآن زاد ت صفة الحياء بهاءً على بهائها إذ لا يوجد أحد أفضل منه ﷺ يوصف به.

وعن أبي سعيد الخدري[2] ﷺ : كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه[3]؛ ولهذا جعل ﷺ الحياء خلق الإسلام، فقال ﷺ : «**إنَّ لِكُلِّ دِيْنٍ خُلُقًا وخُلُقُ الإسْلَامِ الحَيَاءُ**»[4].

وما ذلك إلا لأهميته من بين سائر الأخلاق؛ لأنه إذا لم تستح فاصنع ما شئت، وكان ﷺ لطيف البشرة، رقيق الظاهر، لا يُشَافِهُ أحدًا بما يكرهه حياءً وكَرَمَ نَفْسٍ، وعن عائشة ﷺ : كـــان النبي ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل: ما بال فلان يقول كذا؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يصنعون، أو يقولون كذا ! ينهى عنه، ولا يسمى فاعله[5].

وروى أنس ﷺ أنه دخل عليه رجل به أثر صفرة، فلم يقل له شيئًا، وكان ﷺ لا يواجه أحـــدًا بما يكره، فلما خرج قال: «**لَو قُلْتُم لَهُ: يَغْسِلُ هَذَا**»[6].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «**إنَّ مِن خِيَارِكُم أحْسَنُكُم أخْلاقًا**»[1].

---

[1] سورة الأحزاب آية: (٥٣).

[2] «الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية» للترمذي (ص: ١٢٥) ط١، (١٤٢٤ هـــ) نشر مكتبة نزار بالرياض.

[3] أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم: (٥٧٥١) (ج٥ ص٢٢٦٣)، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ،رقم: (٣٣٦٩) (ج٣ ص١٣,٦)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب: كثرة حيائه ﷺ، رقم: (٢٣٢٠)، (ج٤ ص١٨,٩).

[4] «الموطأ» رواية يحيى الليثي، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في الحياء، رقم (١٦١٠) (ج٢ ص٩,٥)، أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الزهد، باب الحياء، رقم: (٤١٨١) (ج٢ ص١٣٩٩)، وقال الشيخ الألباني: حسن.

[5] «عيون الأثر» (ج٢ ص٤٣٤)، «الشفا» (ج١ ص١١٩).

[6] «مختصر الشمائل»، باب ما جاء في خلق رسول الله ﷺ، رقم: (٢٩٧) (ج١ ص١٨١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة، السيئة، ولكن يعفو ويصفح[٢].

وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة عبد الله بن سلام، وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه أنه كان من حيائه ﷺ لا يثبت بَصَرَهُ في وجه أحد.

وهذا شيء عظيم من أسرار أخلاقه التي دعا إليها الأمة للتحلي بها في الدنيا؛ كي تعظم في الآخرة.

كما أنه ﷺ كان يُكَنِّي عما اضطره الكلام إليه مما يكره، وكذا ما روي عن عائشة: ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط[٣].

٢) من خصائصه الأخلاقية: الجود، والكرم، والسماحة التي لم توجد في أحد كما هي عند رسول الله ﷺ.

وأما الجود والكرم، والسخاء والسماحة: فمعانيها متقاربة، وقد فرق بعضهم بينها بفروق، فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه، وسموه أيضًا حرية، وهو ضد النذالة[٤]، **والسماحة**: التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس، وهو ضد الشكاسة.

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم (٣٣٦٦)، (ج٣ ص١٣,٥)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ، رقم: (٢٣٢١)، (ج٤ ص١٨١١).

[٢] أخرجه الترمذي في «سننه»، باب: ما جاء في خلق النبي ﷺ، رقم (٢,١٦) (ج٤ ص٣٦٩)، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب التاريخ، باب من صفته ﷺ وأخباره، رقم: (٦٤٤٣) (ج١٤ ص٣٥٥).

[٣] أخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث السيدة عائشة رضي الله عنها)، رقم: (٢٤٣٨٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لإبهام الراوي عن عائشة»، (ج٦ ص٦٣)، أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي أن يرى عورة أخيه، رقم: (٦٦٢)، (ج١ ص٢١٧)، باب التستر عند الجماع، ورقم: (١٩٢٢) (ج١ص ٦١٩).

[٤] «الشفا» (ج١ ص١١١).

والسخاء: سهولة الإنفاق، وتجنب اكتساب ما لا يحمد، وهو الجود، وهو ضد التقتير، وكان ﷺ لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة، ولا يبارى، بهذا وصفه كل من عرفه، وقد كان ﷺ موصوفًا بالمعالي العالية، والمراتب الفاضلة من محاسن الأخلاق، وصالحها وأحسنها، وكذلك في السخاء والجود لم يضاهيه أحد من الخلق في جوده، وعطائه، حتى يحسبه من عرف كيف كان جوده، أنه مخصوص به دون غيره **وقد رويت أحاديث كثيرة في ذلك منها ما يلي:**

١- عن ابن المنكدر[١] قال، سمعت جابر بن عبد الله ﷺ يقول: ما سئل النبي ﷺ عن شيء - من متاع الدنيا - فقال: لا[٢].

٢- وقال ابن عباس ﷺ: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما كان في شهر رمضان، وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة[٣].

٣- وعن أنس ﷺ أن رجلاً سأله فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى بلده، وقال: أسلِمُوا، فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة[٤]، وأعطى غير واحد مائة من الإبل، وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة، وهذه كانت حاله ﷺ قبل أن يبعث، وقد قال له ورقة بن نوفل: إنك تحمل الكل وتكسب العدوم.

---

[١] هو: محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، أبو بكر، القرشي، التميمي، أحد الأئمة «الأعلام»، زاهد، من رجال الحديث، أدرك بعض الصحابة، وروى عنه، له نحو مائتي حديث، قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق، ويجتمع إليه الصالحون، ولم يدرك أحد أجدر أن يقبل الناس منه، توفي (سنة: ١٣٠ هـ). «تهذيب التهذيب» (ج٩ ص٤٧٣ – ٤٧٥)، و«الأعلام» (ج٧ ص٣٣٣).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم: (٥٦٨٧) (ج٥ ص٢٢٤٤)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط، فقال: لا، رقم: (٢٣١١).

[٣] أخرجه البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٦) (ج١ ص٦)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، رقم: (٢٣,٨).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط، فقال: لا، وكثرة عطائه، رقم: (٢٣١٢) (ج٤ ص ١٨,٦).

٤- وجاءه رجل، فسأله فقال: «**مَا عِنْدِي شَيءٌ وَلَكِن ابْتَع عَلَيَّ، فَإذَا جَاءَنَا شَيءٌ قَضَيْنَاهُ**»[١]، فقال له عمر: ما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي ﷺ ذلك، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، فتبسم النبي ﷺ، وعرف البشر في وجهه، وقال: «**بِهَذا أمِرْتُ**»[٢].

٣) من خصائصه أنه لم يماثله أحد في وفور شفقته ورأفته، وسعة رحمته لجميع الخلق ﷺ.

وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق ثم بالأمة فمن رحمته بالأمة قال الله تعالى فيه: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣].

ومن رحمته بالكافة قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤].

قال بعض العلماء: من فضله عليه الصلاة السلام أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه، فقال: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، فقد زين الله تعالى محمدًا ﷺ بزينة الرحمة، فكان رحمة، وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق، فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه، والواصل فيهما إلى كل محبوب، ألا ترى أن الله يقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً

---

[١] «مختصر الشمائل المحمدية»، باب ما جاء في خلق رسول الله ﷺ، رقم: (٣٣٦٩) (ج١ ص١٨٥)، وانظر: «تخريج أحاديث الإحياء»، وقال العراقي: «أخرجه الترمذي في «الشمائل» من حديث عمر، وفيه: موسى بن علقمة القروي لم يروه غير ابنه هارون، رقم: (٣٤٨) (ج٢ ص٣١٤).

[٢] «كنز العمال»، كتاب «الشمائل» من قسم الأفعال الذي ذكره الشيخ جلال الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه جمع الجوامع، باب سخاؤه ﷺ رقم: (١٨٦٣٧) (ج٧ ص٣٥٢).

[٣] سورة التوبة، الآية: (١٢٨).

[٤] سورة الأنبياء، الآية: (١,٧)، و«بداية السول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام (ص: ٤٣).

لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾، فكانت حياته رحمة، ومماته رحمة، كما قال عليه السلام: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لَكُمْ ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ، فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ ، وَمَا كَانَ مِنْ سَيِّئٍ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ**»[1]، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ**»[2].

ومن فرط شفقته ﷺ على أمته مبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، **ومما يدل على ذلك ما يلي:**

١- قوله ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَا النَّجَاءَ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ**»[3].

قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وأعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه، وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم، وهو طليعتهم ورقيبهم.

قالوا: وإنما يفعل ذلك؛ لأنه أبين للناظر، وأغرب وأشنع منظرًا، فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو.

وقيل معناه: أنا النذير الذي أدركني جيش العدو فأخذ ثيابي فأنا أنذركم عريانًا، وقوله فالنجاء ممدود أي: انجوا النجاء أو اطلبوا النجاء[1].

---

[1] «مجمع الزوائد» كتاب علامات النبوة، باب: ما يحصل لأمته ﷺ من استغفاره بعد وفاته، رقم: (١٤٢٥٠) (ج٨ ص٥٩٤)، و«كنز العمال»، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، وفيه: عشرة أبواب، الفصل الثالث في فضائل متفرقة تنبيء عن التحدث بالنعم وفيه ذكر نسبه ﷺ، رقم: (٣١٩,٣) (ج١١ ص٥٣٧).

[2] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها، رقم: (٢٢٨٨) (ج٤ ص١٧٩١).

[3] أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، رقم: (٦١١٧) (ج٥ ص٢٣٧٨)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب شفقته ﷺ على أمته رقم: (٢٢٨٣)، (ج٤ ص١٧٨٨).

٢- وعن ابن شهاب، قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة، وذكر حنينًا، قال: فأعطى رسول الله ﷺ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة، عن سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي[٢].

٣- وروي أن أعرابيًا جاءه يطلب منه شيئًا، فأعطاه، ثم قال: «**أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟**» قال الأعرابي: لا، ولا أجْمَلْت[٣] فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه، وزاده شيئًا، ثم قال: «**أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟**» قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا[٤]، فقال له النبي ﷺ: «**إِنَّك قلت مَا قلت وَفِي نَفْس أَصْحَابِي شَيْء من ذَلِك، فَإِن أَحْبَبْت فَقل بَين أَيْديهم مَا قلت بَين يَدي حَتَّى يذهب من صُدُورهمْ مَا فِيهَا عَلَيْك**» قَالَ: نعم، فَلَمَّا كَانَ الْغَد أَو الْعشي جَاءَ فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**إِن هَذَا الْأَعرَابِي قَالَ مَا قَالَ فزدناه فَزعم أَنه رَضِي أَكَذَلِك؟**» فَقَالَ الْأَعرَابِي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فَقَالَ ﷺ «**إِن مثلي وَمثل هَذَا الْأَعرَابِي كَمثل رجل كَانَت لَهُ نَاقَة شَرَدت عَلَيْهِ فاتبعها النَّاس فَلم يزيدوها إِلَّا نفورا، فناداهم صَاحب النَّاقة خلوا بيني وَبَين نَاقَتي فَإِنِّي أرْفق وَأعلم، فَتوجه لَهَا صَاحب النَّاقة بَين يَديهَا فَأخذ لَهَا من قمام الأَرْض فَردهَا هونا حَتَّى جَاءَت واستناحت وَشد عَلَيْهَا رَحلهَا واستوى عَلَيْهَا، وَإِنِّي لَو تركتكم حَيْثُ قَالَ الرجل مَا قَالَ فقتلتموه دخل النَّار**»[٥].

---

[١] «تحفة الأحوذي» ج١٠ ص٦٩)، و«عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤).

[٢] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط، فقال: لا، وكثرة عطائه، رقم: (٢٣١٣) (ج٤ ص١٨,٦).

[٣] «مجمع الزوائد»، علامات النبوة، باب في حسن خلقه وحيائه وحسن معاشرته، رقم: (١٤١٩٣) (ج٨ ص٥٧٦).

[٤] «الشفا» (ج١ ص١٢٣).

[٥] «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب في حسن خلقه وحيائه وحسن معاشرته، رقم: (١٤١٩٣) (ج٨ ص٥٧٦).

٤- وروي عنه أنه ﷺ قال: «**لَا يُبْلِغُنِي أحَد مِنْكُم عَن أحَدٍ مِن أصْحَابِي شَيئًا، فَإنِّي أحِبُّ أنْ أخْرَجَ إلَيْكُم وأنَا سَلِيم الصَّدْرِ**»[(١)].

٥- ومن شفقته على أمته عليه السلام تخفيفه وتسهيله عليهم، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم، كقوله: «**لَوْلَا أنَّ أشُقَّ عَلَى أمَّتِي لَأمَرْتُهُم بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ**»[(٢)]، وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت أمته، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته.

٦- ومن شفقته ﷺ على المكذبين والمعاندين أنه كان يحزن عليهم، وكان القرآن ينزل يواسيه ويسليه، كما في قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾[(٤)]، وما ثبت أنه ﷺ دعا ربه وعاهده، فقال: «**إنَّمَا أنَا بَشَرٌ فَأيُّمَا رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أوْ لَعَنْتُهُ أوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاة وَرَحْمَةً**»[(٥)].

ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام، فقال له: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال وسلم عليه، وقال: مرني بما شئت، وإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. قال النبي ﷺ : «**بَل أرْجُو أنْ يُخْرِجَ الله مِنْ**

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في رفع الحديث من المجلس، رقم: (٤٨٦٠) (ج٥ ص١٨٣)، وقال الشيخ الألباني: «ضعيف»، وأخرجه أحمد مسند عبد الله بن مسعود، رقم: (٣٧٥٩) (ج١ ص٣٩٦)، والترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، رقم: (٣٨٩٦) (ج٥ ص٧١٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب: السواك يوم الجمعة، رقم: (٨٤٧) (ج٢ ص٣٧٤)، وأخرجه مسلم كتاب الطهارة باب السواك، رقم: (٢٥٢) (ج١ ص٢٢٠).

(٣) سورة الكهف آية: (٦).

(٤) سورة النحل آية: (١٢٧).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة، رقم: (٢٦٠١) (ج٤ ص٢٠٠٧).

أصْلَابِهِم مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيئاً»[1]، وهذا منتهى الشفقة والرحمة التي غمر الله بها حبيبه محمدا ﷺ.

٧- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خُيِّرَ رَسُول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا: كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها[2].

٨- قال ابن مسعود رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا[3].

٨- وعن عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بعيراً وفيه صعوبة، فجعلت ترده، فقال رسول الله ﷺ : «**عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ**»[4].

٩- وعنها - أيضا - رضي الله عنها أنها ركبت بعيرًا فَلَعَنَتْهُ، فقال النبي ﷺ: «**لَا تَرْكَبِيْهِ**»[5].

١٠- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيْدُ أَنْ أُطِيْلَهَا فَأَسْمَع بُكَاءَ الصَّبِي فَأُخَفِّفُ مِمَّا أَعْلَم مِن شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّه بِهِ**»[6].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى: غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم: (٣,٥٩) (ج٣ ص١١٨٠)، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين رقم: (١٧٩٥)، (ج٣ ص١٤٢٠).

[2] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم: (٣٣٦٧) (ج٣ ص١٣,٦)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب مباعدته ﷺ للآثام، رقم: (٢٣٢٧)، (ج٤ ص١٨١٣).

[3] أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، رقم: (٦٨) (ج١ ص٣٨)، وأخرجه مسلم بلفظ: «كان يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا»، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة، رقم: (٢٨٢١) (ج٤ ص٢١٧٢).

[4] أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، رقم: (٢٥٩٤)، (ج٤ ص٢٠٠٤).

[5] «مسند أبي يعلى»، مسند عائشة رضي الله عنها ، رقم: (٤٧٣٥)، (ج٨ ص١٨٠).

[6] أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب الصلاة، باب فرض متابعة الإمام، رقم: (٢١٣٩) (ج٥ ص٥١٠).

٤) من خصائصه الأخلاقية أنه لم يكن أحَدٌ مِن الخلق يشبهه في تواضعه ﷺ بالرغم من علو منصبه، ورفعة رتبته فكان النبي الأكرم ﷺ أشد الناس تواضعاً، وحسبك أنه خُيِّرَ بَيْنَ أن كان نبياً ملكًا أو نبيًا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًا عبدًا[١].

فكان ذلك من خصوصياته، حيث وصل في التواضع إلى درجة أعطى بها ما لم يعط أحدًا من الخلق، فدل على أنه خص من التواضع بشيء لم ولن يصل إليه أحد قط؛ لأنه هو وحده سيد ولد آدم؛ ولذا لا نبالغ إذا قلنا أن ذلك الخلق زاد حسنًا وجمالا باتصاف سيد البشر به، ومما يدل على ذلك الخلق العظيم ووجاهته بين الأخلاق باتصاف سيد الخلق ﷺ به ما يلي:

١- عن أبي أمامة، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متكئاً على عصا، فقمنا له، قال: «**لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الأعَاجِمُ، يُعَظِّمُ بَعْضُهُم بَعْضاً**»[٢] وقال ﷺ: «**إنَّما أنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأكُلُ العَبْدُ، وأجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ**»[٣].

٢- ما ورد في حديث عمر رضي الله عنه: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أطْرَت النَّصَارَى ابنُ مَرْيَم، إنَّما أنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ الله وَرَسُولُه**»[٤].

---

[١] أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، باب: العين، أحاديث عبد الله بن العباس، رقم: (١,٦٨٦) (ج١٠ ص٢٨٨)، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده»، تابع [مسند عائشة رضي الله عنها]، رقم: (٤٩٢٠) (ج٨ ص٣١٨)، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه»، (كتاب أهل الكتابين)، باب: (الأكل متكئا)، رقم: (٤٩٢٠) (ج١٠ ص ٤١٧).

[٢] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل، رقم: (٥٢٣٠) (ج٢ ص٧٧٩)، وأخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث أبي أمامة الباهلى: الصدى بن عجلان بن عمرو بن وهب الباهلى عن النبي ﷺ)، رقم: (٢٢٢٣٥) (ج٥ ص٢٥٣).

[٣] «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب في تواضعه ﷺ، رقم: (١٤٢٢٦) (ج٨ ص٥٨٦). و«كنز العمال»، الفصل الأول في: آداب الأكل، رقم: (٤,٧,٨) (ج١٥ ص ٣٣٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (ج٤ ص١١٥)، والهيثمي في «إتحاف السادة المتقين» (ج٨ ص٤٠).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها}، رقم: (٣٢٦١) (ج٣ ص١٢٧١)، وكتاب: أحاديث الأنبياء، وكتاب الحدود (ج١٢ ص١٤٥)، وكتاب المظالم رقم: (٢٤٦٢).

٣- قال أنس: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف[١].

٤- ومن عظمة تواضعه ﷺ قوله: «**لَا يَقُولَنَّ أحَدُكُم إنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونَس بنِ مَتَّى**»[٢].

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: «**مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أنْ يَقُولَ إنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى**»[٣].

وقال للذي قال له: يا خير البرية: «**ذَاكَ إبْرَاهِيمُ**»[٤].

٥- ما روي عن عائشة عندما سئلت عما كان يفعله النبي ﷺ في بيته قالت: «**كَان يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أهْلِهِ فإذَا حَضَرَت الصَّلَاةُ قَام فَصَلَّى**»[٥].

٦-. وعن أنس: إن كانت الأمَةُ مِن إمَاءِ أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها، وعن جرير أن رجلا دخل عليه، فأصابته من هيبته رعدة فقال له: «**هَوِّن عَلَيْكَ فَإنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إنَّما أنَا ابنُ امْرَأةٍ مِن قُرَيْشٍ تَأكُلُ القَدِيْدَ**»[٦].

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: دخلت السوق مع النبي ﷺ، فاشترى سراويل وقال للوزان: «**زِنْ وَأرْجِح**» وذكر القصة قال: فوثب إلى يد النبي ﷺ يقبلها، فجذب يده، وقال: «**هَذَا تَفْعَلُهُ**

---

[١] أخرجه الترمذي، رقم: (١,١٧) (ج٣ ص٣٣٧)، وأخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، رقم: (٤١٧٨) (ج٢ ص١٣٩٨).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وإن يونس لمن المرسلين}، رقم: (٣٢٣١) (ج٣ ص١٢٥٤).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى { وإن يونس لمن المرسلين}، رقم: (٣٢٣٤)، (ج٣ ص١٢٥٤)، ومسلم في الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام، رقم: (٢٣٧٦).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، رقم: (٢٣٦٩) (ج٤ ص١٨٣٩).

[٥] أخرجه البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، رقم: (٦٤٤) (ج١ ص٢٣٩).

[٦] أخرجه ابن ماجه في كتاب: الأطعمة، باب: القديد رقم: (٣٣١٢)، وصححه الألباني.

الأعَاجُم بِمُلُوكِهَا، وَلَسْتُ بِمَلِكٍ، إنَّما أنَا رَجُلٌ مِنْكُم»، ثم أخذ السراويل، فذهَبْتُ لأحملـــه، فقال: صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله»[1].

٨- وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِـــي جِبَـــالُ الذَّهَبِ. جَاءَنِي مَلَكٌ إنَّ حُجْزَتَهُ لَتُسَاوِي الْكَعْبَةَ فَقَالَ: إنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُـــولُ لَكَ: إنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، وَإنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا. قَالَ: فَنَظَرْتُ إلَى جِبْرِيلَ قَالَ: فَأَشَارَ إلَـــيَّ أَنْ ضَعْ نَفْسَكَ قَالَ: فَقُلْتُ: نَبِيًّا عَبْدًا»**. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَأْكُلُ مُتَّكِئًا يَقُولُ: **«آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»**[2].

٥) من خصائصه الأخلاقية: ما كان عليه من الوقار، وحسن الهدي والمروءة.

وأما وقاره ﷺ وصمته، ومروءته وحسن هديه، فقد جاءت الروايات الكثيرة تصفه وصفًا دقيقًا ،وكلها تجمع على أنه خص بالكمال، منه: الكمال البشري، والكمال النبـــوي، وأعطـــى مـــا يتناسب مع ذلك، **ومن ذلك ما يلي:**

١- روى أبو سعيد الخدري ﵁: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في مجلس احتبى بيديه، وكذلك كان أكثر جلوسه لله محتبيًا[3].

٢- وقال عبد الله بن مسعود ﵁: إن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ[4].

وعن جابر بن عبد الله ﵁: كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل أو ترسيل[1].

---

[1] أخرجه أبو يعلي في «مسنده»، تابع حديث مسند أبي هريرة ﵁، رقم (٦١٦٢) (ج١١ ص٢٣)، وانظر: «مجمع الزوائد»، كتاب اللباس، باب في السراويل، رقم: (٨٥١٠)، (ج٥ ص٢١٢).

[2] «مسند أبي يعلى»، تابع مسند عائشة ﵂، رقم: (٤٩٢٠) (ج٨ ص٣١٨)، وانظر: «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب في تواضعه ﷺ، رقم: (١٤٢١٠) (ج٨ ص٥٨٢).

[3] انظر: «مجمع الزوائد»، كتاب الأدب، باب ما جاء في الجلوس وكيفيته وخير المجالس، رقم (١٢٩٢٥) (ج٨ ص١١٦)، و«كنز العمال»، كتاب الشركة من قسم الأفعال، {الجلوس والمجالس}، رقم: (١٨٤٨٠) (ج٧ ص٢٩٠).

[4] أي: تبيين وتَؤُدَة، والحديث في: «كنز العمال»، كتاب الزكاة، وفيه: فضائل السخاء والصدقة وفضل الفقراء والفقر وما يتعلق بهما وفيه ثلاثة أبواب، تتمة الإكمال من ذم السؤال، رقم: (١٦٧٦٤) (ج٦ ص٧٩٨).

٣- قال ابن أبي هالة: [٢] كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير والتفكر[٣].

٤- قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يحدث حديثاً لو عده العاد أحصاه[٤].

٥- وكان ﷺ يحب الطِّيْبَ والرائحة الحسنة، ويستعملها كثيراً، ويحض عليهما، ويقول: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِن دُنْيَاكُم النِّسَاءُ، وَجُعِلَت قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاة**»[٥].

٦- ووصفه هند بن أبي هالة التميمي فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا غياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يوئس منه، ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، ومما لا يعنيه، وترك نفسه من ثلاث: كان لا يذم أحدا، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه.

إذا تكلم أَطْرَقَ جُلَسَاؤُه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أوليتهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة من منطقه، ومسألته حتى إذا كان أصحابه

---

[١] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب: الهدي في الكلام، رقم: (٤٨٣٨)، (ج٤ ص٢٦٠)، وصححه الألباني.

[٢] هند بن أبى هالة: النباش بن زرارة التميمى الأسيدى (ربيب النبى ﷺ؛ أمه خديجة بنت خويلد): صحابى جليل، توفي يوم الجمل، وقيل بعد ذلك بالبصرة، روى له: (الترمذي في الشمائل).

[٣] أخرجه أبو علي البزاز في «مشيخة ابن شاذان الصغرى»، رقم: (٦١)، (ص: ٤٥)، وانظر: «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٠)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٥).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم: (٣٣٧٤) (ج٣ ص١٣,٧)، وأخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقم: (٢٤٩٣) (ج٤ ص٢٢٩٨).

[٥] أخرجه النسائي في «سننه»، كتاب: عشرة النساء، باب حب النساء، رقم: (٣٩٣٩)، (ج٧ ص٦١)، قال الألباني: «حسن صحيح».

ليستجلبوهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها أرشدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكـــافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بنهي أو قيام[1].

٦) من خصائصه الأخلاقية شدة خوفه من ربه، وكثرة طاعته له، وشدة عبادته:

وأما خوفه ﷺ من ربه، وطاعته له، وشدة عبادته، فعلى قدر علمه بربه، ولا أحد أعلم بالله منه ﷺ على الإطلاق وهذا هو وجه الخصوصية؛ ولذا قال:

١- ﷺ: «**إنَّ أتْقَاكُم وأعْلَمَكُم بِالله أنَا**»[2].

٢- وكان يصلى حتى ترم قدماه، فقيل له: أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبـــك ومـــا تأخر قال: «**أفَلَا أكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟**»[3].

٣- وقالت عائشة رضي الله عنها: كان عمل رسول الله ﷺ دِيْمَةً، وأيكم يطيق ما كان يطيق![4].

٤- وقالت: كان يَصُومُ حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم[5]، ونحوه عن ابـــن العباس، وأم سلمه، وأنس[6].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، باب الهاء، في من اسمه هند، رقم: (٤١٤) (ج٢٢ ص١٥٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، فصل في خلق الرسول ﷺ وخلقه، رقم: (١٤٣٠) (ج٢ص١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**أنا أعْلَمُكُم بِالله**»، وأن المعرفة فعل القلب، رقم: (٢٠) (ج١ ص١٦).

(٣) أخرجه البخاري، أبواب التهجد، باب قيام النبي ﷺ حتى ترم قدما، رقم: (١,٧٨) (ج١ ص٣٨٠)، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب إكثار الأعمال والاجتهاد، رقم: (٢٨١٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب هل يخص شيئا من الأيام، رقم: (١٨٨٦) (ج٢ ص٧,١)، وأخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغير، رقم: (٧٨٣) (ج١ ص٥٤١).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الصيام، باب في صوم المحرم، رقم (٢٤٣٠) (ج١ ص٧٣٨)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، وفي «سنن الترمذي»، كتاب الصوم، باب ما جاء في سرد الصوم، رقم: (٧٦٨) (ج٣ ص١٣٩).

(٦) «سنن الترمذي»، كتاب الزهد، برقم: (٢٣١٣).

٥- وعن أنس قال: كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيته مصليًا، ولا نائماً إلا رأيته نائماً[١].

٦- وقال عوف بن مالك[٢]: كنت مع رسول الله ﷺ ليلة فاستاك، ثم توضأ، ثم قام يصلي، فقمت معه، فبدأ فاستفتح البقرة، فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم ركع، فمكث بقدر قيامه، يقول: «**سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالمَلَكُوتِ وَالعَظَمَةِ**»، ثم سجد وقال مثل ذلك، ثم قرأ آل عمران، ثم سورة سورة، يفعل مثل ذلك. وعن حذيفة مثله، وقال سجد نحواً من قيامه، وجلس بين السجدتين نحوًا منه، وقال: حتى قرأ البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة[٣].

٧- وقال عليه السلام: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً**»[٤].

٧) من خصائصه الأخلاقية: نظافة جسمه، وطيب رائحته، ونزاهته عن الأقذار.

خص الله نبيه بأمور لا توجد في أحد إلا النبي ﷺ.

ومنها ما يلي: أما نظافة جسمه، وطيب ريحه وعرقه، ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد، فقد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره لم توجد في أحد غيره على الإطلاق، ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر[١]، **والأحاديث في ذلك كثيرة منها ما يلي:**

---

[١] أخرجه البخاري، أبواب التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل، ونومه وما نسخ من قيام الليل، رقم: (١٠٩٠) (ج١ ص٣٨٣).

[٢] هو: عوف بن مالك بن أبي عوف، أبو عبد الرحمن، الأشجعي الغطفاني، صحابي من الشجعان الرؤساء رضي الله عنه، وأول مشاهده خيبر، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح، روى عن النبي وعن عبد الله بن سلام، وروى عنه أبو مسلم الخولاني، وأبو إدريس الخولاني، وجبير بن نفير، وعبد الرحمن بن عامر، وغيرهم، له ٦٧ حديثًا، توفي (سنة: ٧٣ هـ). انظر ترجمته في: «الإصابة» (ج٣ ص٤٣)، و«الاستيعاب» (ج٣ ص١٢٢٦)، و«الأعلام» (ج٥ ص٢٧٨).

[٣] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (حديث عوف بن مالك الأشجعي الأنصاري رضي الله عنه)، رقم: (٢٤,٢٦) (ج٦ ص٢٤)، وهو في «مسند الشاميين» حديث: (معاوية عن عمرو بن قيس الكندي ثم السكوني)، رقم: (٩٠٢) (ج٣ ص١٦٩)، وانظر: «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٥٤).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، رقم (٥٩٤٨) (ج٥ ص٢٣٢٤).

١- ما روي أنه ﷺ قال: «**تَنَظَّفُوا بِكُلِّ مَا استَطَعْتُم فَإنَّ الله تَعَالَى بَنَي الإسْلَامَ علَى النَّظَافَةِ وَلَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلَّا كُلَّ نَظِيفٍ**»[٢].

ووجه ذلك: أنه أكمل الخَلْق ديناً وَخَلقاً وخُلقاً.

٢- عن أنس ﷺ قال: ما شممت عنبرًا قط، ولا مسكًا، ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ[٣].

٣- وعن جابر بن سمرة: أنه ﷺ مسح خده، قال: فوجدت ليده برداً وريحاً، كأنما أخرجها من جؤنة عطار[٤] وهذا من خصائصه بلا خلاف.

٤- وعن أنس: دخل علينا النبي ﷺ، فقال عندنا، فعرق، وجاءت أمي بقارورة، فجعلت تَسْلُتُ العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ، فقال: «**يَا أمَّ سُلَيمٍ مَا هَذَا الذِي تَصْنَعِيْنَ؟**» قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب[٥] وهذا لم يُعْرَف لِغيره ﷺ.

٥- وعن جابر: لم يكن النبي ﷺ يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه النبي ﷺ من طيبه[٦].

٦- وذكر اسحاق بن راهويه [١] أن تلك كانت رائحته بِلا طِيْبٍ، ﷺ وعن أبي جحيفة قال: خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البَطْحَاء فتوضأ ثم صلى الظهر، وقام الناس فجعلوا يأخذون

---

[١] «الشفا» (ج١ ص٦١).

[٢] «كنز العمال»، كتاب الطهارة وفيه خمسة أبواب ،رقم (٢٠٢٦) (ج٩ ص٤٨٨).

[٣] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه، رقم (٢٣٣٠) (ج٤ ص١٨١٤).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه، رقم: (٢٣٢٩) (ج٤ ص١٨١٤).

[٥] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به، رقم: (٢٣٣١) (ج٤ ص١٨١٥).

[٦] «الشفا» (ج١ ص٦٣).

يديه فيمسحون بهما وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك[٢].

٧- حديث علي ﷺ: غسلت النبي ﷺ، فذهبت أنظر ما يكون من الميت فَلَم أجِد شيئاً، فقلت: طبت حياً وميتاً، قال: وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط[٣].

٨- ومثله قال أبو بكر ﷺ حين قبل النبي ﷺ بعد موته: «فِدَاكَ أبِي وأمِّي مَا أطْيَبَكَ حيا وميتا»[٤].

٨) من خصائصه الأخلاقية ما خصه الله به من وفور عقله، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه بما لا يوجد في أحد مثله قط، وبيان ذلك فيما يلي:

١- أما وفور عقله، وذكاء لبه، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه، واعتدال حركاته، وحسن شمائله: فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم وأفصحهم، وأحسنهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسة العامة والخاصة، مع عجيب شمائله، وبديع سيره، فضلاً عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه، لم يمتر في رجحان عقله، وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا ما لا يحتاج إلى تقرير

---

[١] هو: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد من بني حنظلة من تميم عالم خراسان في عصره، طاف البلاد لجمع الحديث، وأخذ عنه أحمد والشيخان، قال فيه الخطيب البغدادي: «اجتمع له الفقه والحديث والحفظ والصدق والورع والزهد»، استوطن نيسابور وتوفي بها سنة ٢٣٨ هـ. يراجع : «تهذيب التهذيب» (ج١ ص٢١٦)؛ و«الانتقاء» (ص: ١,٨).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم: (٣٣٦٠) (ج٣ ص١٤,٣).

[٣] أخرجه البزار في «مسنده»، مما روى سعيد بن المسيب عن علي، رقم (٥١٩) (ج٢ ص١٥٣)، وأخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ)، رقم (٢٣٥٧) (ج١ ص٢٦٠)، وأخرجه البيهقي في «سنن البيهقي» الكبرى كتاب الجنائز، (باب ما يؤمر به من تعاهد بطنه وغسل ما كان به من أذى)، رقم: (٦٤١٨) (ج٣ ص٣٨٨).

[٤] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (مسند أبي بكر الصديق ﷺ)، رقم: (١٨) (ج١ ص٥).

لتحقيقه. فهو أمر بديهي لا يحتاج إلى دليل لوضوحه، ولكل من تعرف على سيرته لا يماري في ذلك[1].

٢- قال وهب بن منبه[2]: قرأت في أحد وسبعين كتاباً، فوجدت في جميعها أن النبي ﷺ أرجح الناس عقلاً، وأفضلهم رأياً[3].

وفي رواية أخر: فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا[4].

ومما يدل على أفضليته ﷺ عن غيره في ذلك ما يلي:

١- قال مجاهد: كان رسول الله ﷺ إذا قَام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه، وبه فسر قوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[5].

وفي الصحيحين عنه عليه السلام: «**إِنِّي لَأَرَاكُم مِن وَرَاءِ ظَهْرِي**»[6]، وعن عائشة مثله، قالت: زيادة زاده الله إياها في حجته.

وفي بعض الروايات: «**إِنِّي لَأَنْظُرُ مِن وَرَائِي كَمَا انْظُرُ مِن بَيْنِ يَدَيَّ**»[7].

---

[1] «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٩)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٥٦).

[2] هو: وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الاخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الاسرائيليات، يعد في التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير، ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، توفي سنة ١١٤. يراجع: «الأعلام» للزركلي (ج٨ ص١٢٥).

[3] «تاريخ دمشق» (ج٣ ص٣٨٦).

[4] «الشريعة» (ج١ ص٤٧١).

[5] سورة الشعراء آية: (٢١٩).

[6] أخرجه البخاري، أبواب المساجد، باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة وذكر القبلة، رقم (٤,٨) (ج١ ص١٦١)، وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها، رقم: (٤٢٤).

[7] «مجمع الزوائد»، كتاب الصلاة، باب في الصف للصلاة، رقم: (٢٤٩٣) (ج٢ ص٢٤٨).

٢- عن عائشة، قالت: كان النبي ﷺ يرى في الظلمة كما يرى في الضوء[١].

٣ - الأخبار الكثيرة الصحيحة في رؤيته ﷺ للملائكة والشياطين مما لا يقدر عليه غيره، وكل ذلك دليل على قوة حواسه عن غيره، **ومن ذلك**:

أ- أن الله تعالى رفع له بيت المقدس حين وصفه لقريش بعد رحلة الإسراء والمعراج[٢].

ب- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**لَمَّا تَجَلَّى اللهُ لِمُوسَى عليه السلام كَانَ يُبْصِرُ النَّمْلَةَ عَلَى الصَّفَا فِي اللَيلَةِ الظَّلْمَاءِ مَسِيْرَةَ عَشَرَةِ فَرَاسِخَ**»: ولا يَبْعُدُ على هذا أن يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى[٣].

ج- قد جاءت الأخبار بأنه صرع أبا ركانة أشد أهل وقته، وكان دعاه إلى الإسلام وصارع أبا ركانة في الجاهلية وكان شديداً، وعاوده ثلاث مرات، كل ذلك يصرعه رسول الله ﷺ [٤].

د- قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله ﷺ في مشيه، كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث[٥].

٩) من خصائصه الأخلاقية: العفو.

مما جمل الله تعالى به نبيه ﷺ أن جعله أعظم الناس عفوا.

ويؤيد ذلك: روايات ومواقف كثيرة تحكي جانبًا من عظيم عفوه ﷺ بما لم يوجد في أحد غيره، **ومنها ما يلي:**

---

[١] أخرجه ابن عدي، والبيهقي في «الدلائل»، وهو: ضعيف، انظر: «السلسلة الضعيفة»، رقم: (٣٤١) (ج١ ص٥١٥).

[٢] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، رقم (١٧٢) (ج١ ص١٥٦).

[٣] «الشفا» (ج١ ص٦٩).

[٤] «تلخيص الحبير»، كتاب السبق والرمي، (ج٤ ص١٦٢).

[٥] أخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند أبي هريرة رضي الله عنه)، رقم (٨٥٨٨) (ج٢ ص٣٥٠)، وانظر: «مشكاة المصابيح»، كتاب الفضائل والشمائل، باب فضائل سيد المرسلين، رقم: (٥٧٩٥) (ج٣ ص٢٥٩).

١- قوله ﷺ عندما طلب منه الدعاء على المشركين: «**إِنِّي لَم أُبْعَث لَعَّانًا وَلَكِنِّي بُعِثْتُ رَحْمَةً**»[١].

٢- وروي أنه لما كسرت رباعيته، وشج وجهه يوم أحد، شق ذلك على أصحابه، وقالوا: لو دعوت عليهم ؟ فقال: «**إِنِّي لَم أُبْعَث لَعَّاناً، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ دَاعِياً وَرَحْمَةً، اللَّهُم اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُم لَا يَعْلَمُونَ**»[٢].

٣- واتَّفَقَ العُلَمَاء أنه ﷺ كان أعظم الناس عفواً، لا ينتقم لنفسه، ولهذا لما تصدى له غورث بن الحارث ليقتله والسيف بيده، وقال لرسول الله ﷺ : من يمنعك مني، قال له: «**الله!**» فسقط السيف من يده، فقال له عليه الصلاة والسلام، وقد أخذ السيف: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**»، فقال: كن خير آخذ، فتركه وعفا عنه، فجاء إلى قومه، فقال: جئتكم من عند خير الناس[٣].

٤- وعفا عليه الصلاة والسلام عن اليهودية التي سَمَّتْهُ في الشاة بعد اعترافها على الصحيح [٤].

٥- ولم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سَحَرَهُ، ولا عبد الله بن أَبيّ وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم قولاً وفعلاً.

١٠) من خصائصه الأخلاقية ﷺ الشجاعة.

لا خلاف بين العلماء أنه ﷺ كان أشجع الناس.

ومما يؤيد ذلك روايات كثيرة منها ما يلي:

---

[١] أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم (٢٥٩٩) (ج٤ ص٢٠٠٦)، و«مسند أبي يعلى»، حديث: أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٦١٧٤) (ج١١ ص٣٥).

[٢] حديث ضعيف، ورد في «الجامع الصغير وزيادته»، رقم: (٣٥٥٩) (ج١ ص٣٥٦)، وانظر: «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٥٤).

[٣] سبق تخريجه.

[٤] «الشفا» (ج١ ص١,٧).

١- سئل البراء: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ قال: لكن رسول الله لم يفر، إن هوازن كانوا قومًا رماة، وإنا لما لقيناهم حملنا عليهم، فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم، واستقبلونا بالسهام، فأما رسول الله ﷺ، فلم يفر، فلقد رأيته وإنه لعلى بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان آخذ بلجامها والنبي ﷺ، يقول: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِب، أَنَا ابنُ عَبْدِ المطَّلِب**»[١].

٢- قال ابن عمر ﷺ: ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ[٢].

٣- وعن أنس ﷺ: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجوده الناس وأشجع الناس، لقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، والسيف في عنقه وهو يقول: «**لَنْ تُرَاعُوا**»[٣].

٤- وقال عمران بن حصين ﷺ: ما لقي النبي ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب[٤].

٥- وقال علي بن أبي طالب ﷺ لَمَّا حَضَرَ البَأسُ يَومَ بَدْرٍ اتَّقَيْنَا برسول الله ﷺ، وكان مِنْ أشَدِّ الناس ما كان، أو لم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه[٥]، وقيل: كان الشجاع هو الذي يقرب منه ﷺ، لقربه من العدو.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، رقم (٢٧,٩) (ج٣ ص ١,٥١)، وبأرقام أخرى [٢٧١٩، ٢٧٧٢، ٢٨٧٧، ٤,٦١، ٤,٦٣]، وأخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم (١٧٧٦) (ج٣ ص١٤٠٠).

(٢) أخرجه الدارمي، في «سننه»، في المقدمة باب في حسن النبي ﷺ، رقم: (٥٩) (ج١ ص٤٤)، وقال حسين سليم أسد: «رجاله ثقات».

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي عليه السلام وتقدمه للحرب، رقم (٢٣,٧) (ج٤ ص ١٨,٢).

(٤) انظر: «تخريج أحاديث الإحياء»، كتاب الأمر بالمعروف، بيان شجاعته ﷺ، رقم: (٨) (ج٢ ص٣١٦).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند علي بن أبي طالب ﷺ)، رقم: (١,٤٢)، (ج١ ص١٢٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير حارثة بن مضرب فمن رجال أصحاب السنن وهو ثقة»، وأخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب قسم الفيء، والأصل من كتاب الله ﷻ، رقم: (٢٦٣٣)، (ج٢ ص١٥٥)، وقال الذهبي في التلخيص: «صحيح».

١١) من خصائصه الأخلاقية طيب النفس.

لا خلاف بين العلماء أنه ﷺ كان أكثر الناس تبسماً، وأطيبهم نفساً، ما لم ينزل عليه قرآن، أو يعظ، أو يخطب.

مما يؤيد ذلك ما يلي:

١- قال عبد الله بن الحارث[١] رضي الله عنه: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ[٢].

٢- وقال جرير [٣] رضي الله عنه : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي[٤]، وكان ﷺ يمازح أصحابه، ويخالطهم، ويحادثهم، ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة الحر، والعبد، والأمة، والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر.

---

[١] هو: عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معدي كرب بن عمرو، أبو الحارث، الزبيدي، صحابي محدث، نزيل مصر، شهد فتح مصر روى عن النبي ﷺ، روى عنه سليمان بن زياد الحضرمي، وعقبة بن مسلم التُّجيبي، وعبيد الله بن المغيرة وعبيد بن ثمامة المرادي وغيرهم، وذكر أبو جعفر الطحاوي: أن وفاته كانت بأسفل أرض مصر، توفي (سنة: ٨٦ هـ). «تهذيب الكمال» (ج١٤ ص٣٩٢ - ٣٩٣).

[٢] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب في بشاشة النبي ﷺ، رقم: (٣٦٤١)، (ج٥ ص ٦,١)، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب»، وقال الشيخ الألباني: «صحيح»، وأخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي)، رقم (١٧٧٤٠) (ج٤ ص ١٩٠).

[٣] هو: جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك، أبو عمرو - وقيل: أبو عبد الله - البجلي، من قبيلة بجيلة إحدى القبائل اليمانية: صحابي، روى عن النبي ﷺ وعن عمر ومعاوية، قال الإمام أحمد : حدثنا محمد ابن عبيد حدثنا إسماعيل عن قيس عن جرير قال: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي»، توفي (سنة: ٥١ هـ) انظر: «البداية والنهاية» (ج٥ ص٧٧)، و(ج٨ ص٥٥)، و«تهذيب التهذيب» (ج٢ ص٧٣).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من لا يثبت على الخيل، رقم (٢٨٧١) (ج٣ ص١١,٤)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه، رقم: (٢٤٧٥)، (ج٤ ص١٩٢٥).

٣- قال أنس ﷺ : ما رأيت رجلا التقم أذن رسول الله ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما رأيت رجلا أخذ بيده فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده[١].

٤- كان ﷺ يبدأ مَنْ لَقِيَهُ بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ولم يَرَ قَطّ مادًا رجليه بين أصحابه، حتى لا يضيق بهما على أحد، يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه، ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى، ويكني أصحابه، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة، ولا يقطع على أحد حديثه.

٥- روي أنه ﷺ كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته، وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلى صلاته[٢].

١٢) مما خص به ﷺ أنه سمي بالأمين قبل النبوة.

كان أهل مكة وكل من عرف النبي ﷺ يسمونه بالأمين وذلك لما عرفوا من أمانته، وعدله وصدقه **ويؤيد ذلك ما يلي:**

١- ما روي عن الربيع بن خيثم[٣]: كان يتحاكم إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام[٤].

---

[١] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في حسن العشرة، رقم: (٤٧٩٤)، (ج٢ ص ٦٦٧)، وقال الشيخ الألباني: «حسن»، وأخرجه أبو يعلي في «مسنده»، حديث: ثابت البناني عن أنس، رقم: (٣٤٧١) (ج٦ ص١٨٧)، وانظر: «فتح الباري» (ج٦ ص ٥٦٨).

[٢] انظر: «تخريج أحاديث الإحياء»، كتاب الأمر بالمعروف، باب: آداب المعيشة وأخلاق النبوة، رقم: (١)، (ج٢ ص٢٧٨)، و«عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤)، و«تحفة الأحوذي» ج١٠ ص٥٤).

[٣] هو: الربيع بن خيثم بن عائذ بن عبد الله بن موهب بن منفذ الثوري، أبو يزيد، الكوفي، روى عن النبي ﷺ مرسلاً، وعن عبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبي أيوب الأنصاري، وغيرهم قال الشعبي: كان الربيع أشد أصحاب ابن مسعود ورعًا، وقال منذر والثوري: شهد مع علي صفين. توفي (سنة: ٦٣، وقيل: ٦١هـ). انظر: «تهذيب التهذيب» (ج٣ ص٢٤٢)، و«تهذيب الكمال» (ج٩ ص٧٠ - ٧٦).

[٤] «الطبقات الكبرى» (ج١ ص١٥٧).

وقال النضر بن الحارث[1] لقريش: قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر! لا والله ما هو بساحر[2].

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ وَأَرْجُلِهِنَّ أَيْدِيهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى فَبَايِعْهُنَّ مَعْرُوفٍ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]، قالت: وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها[4].

وقال ﷺ للأعرابي: «**وَيْحَكَ! فَمَن يَعْدِلِ إنْ لَم أعْدِلِ؟**»[5].

٣- أنهم لم يجدوا أحدا يأمنوه على أموالهم إلا النبي ﷺ بالرغم من معاندتهم في عدم الإيمان به.

والدليل على ذلك: أنه كانت لهم عنده أمانات عند الهجرة.

وقصارى القول في أخلاقه: أنه لو ماء البحار بجمعها كان المداد لِوَصْفِ أحْمَدَ مَا كفي، ولو استقصي علماء الخلائق عد أوصافه لن تعرفا، وكُلّ من وصفه أو نعته قال: لم ير قبله ولا بعده مثله[6]. وما ذكرت فقط الا بعض أمثلة من بعض جوانب الأخلاق عنده ﷺ.

---

[1] هو: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في: «الحيرة»، وقيل: هو أول من غنى على العود بألحان الفرس، وهو ابن خالة النبي ﷺ، ولما ظهر الاسلام استمر على عقيدة الجاهلية، وآذى رسول الله ﷺ كثيرا، توفي (سنة ٥٢ هـ).

[2] «فتح الباري» (ج٦ ص٥٦٠).

[3] سورة الممتحنة آية: (١٢).

[4] أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب بيعة النساء، رقم: (٦٧٨٨) (ج٦ ص٢٦٣٧).

[5] «ظلال الجنة»، باب المارقة والحرورية والخوارج السابق لها خذلان خالقه، رقم: (٩٤٣) (ج٢ ص١٦٧).

[6] «الوفا» (ج١ ص٤٦٦).